

العالم الطريف لأولدس هكسلى

بقلم
الأستاذ محمود محمود

كبير مفتشى اللغة الانجليزية بوزارة للتربية والتعليم

والقيم الإنسانية . وفى أسلوب لاذع فكه يسخر هكسلى من فكرة التقدم التى يبشر بها العلماء والفلاسفة . ولكن العالم — برغم هذا النذير — يقترب رويداً رويداً من هذا العالم الذى تتوفر فيه السعادة وتنقى فيه القيم . وقد أعجبت بهذا الكتاب وبأسلوبه فنقلته أيضاً إلى اللغة العربية ، وسوف أجعله فى هذا المقال محور الحديث ، تلخيصاً وتعليقاً ونقداً .

وأود أن أذكر هنا أن أكثر قراء هذا الكتاب توهوا عند أول نشره فى عام ١٩٣١ أن الصورة التى رسمها هكسلى فيه لمستقبل البشرية ممعنة فى الخيال مغرقة فى التشاؤم إلى الحد الذى لا يدعو إلى تصديق وقوعها . ولكننا نلمس اليوم بأنفسنا أن كثيراً مما تنبأ به هكسلى فى كتابه هذا قد بدأ فعلاً يتحول إلى حقيقة واقعة فى حياة الناس ، وبسرعة لم تكن تطراً للمؤلف نفسه على بال . ولكى لا تنحدر الإنسانية إلى مساوىء العالم الجديد ، أخرج هكسلى كتاباً لاحقاً له تحت عنوان « عود إلى العالم الطريف » عالج فيه الأخطار العظيمة التى تواجه العالم اليوم ، وأهمها — إذا استثنينا القنبلة الهيدروجينية — زيادة السكان ، والمبالغة فى التنظيم . فزيادة السكان فى ظن هكسلى لا بد أن تؤدى إلى

كانت بداية صلتى بأولدس هكسلى منذ نحو ربع قرن عند ما قرأت له كتابه « الوسائل والغايات » وهو بحث قيم فى طبيعة المثل العليا ، وفى الوسائل التى تستخدم لتحقيقها فى هذا الكتاب عرض ونقد وإصلاح لوسائل الحكم والإدارة الحديثة ، وللحروب وأسبابها ، وفكرة المساواة ، والتعليم ، والدين والمعتقدات والأخلاق وغير ذلك من الموضوعات التى تههم جمهور القراء والمثقفين . وراقى الكتاب كثيراً فنقلته إلى اللغة العربية فى سلسلة الفكر الحديث التى أخرجتها لجنة التأليف والترجمة والنشر .

ومنذ ذلك الحين تعلقت بهكسلى وبكل ما أخرج وما يخرج من مؤلفات وما ينشر من كتب ومجلات ومقالات ، حتى وقفت فى هذه الجولة الفكرية عند كتابه « العالم الطريف » ، وهو قصة خيالية طريفة يتصور فيها هكسلى مستقبل الإنسان إذا هو واصل تقدمه نحو الحضارة المشوذة على أساس علمى ، دون مراعاة للمثل الإنسانية الرفيعة . وقد يتصور العلماء أن العالم الجديد الذى تسير نحوه الإنسانية عالم استقرار وسعادة ، غير أن هكسلى ينذرهم فى كتابه هذا بأن السعادة المرجوة لن تتحقق على أساس التضحية بالمثل

الحكم الدكتاتورى الذى يتسلط على جميع أوجه الحياة . ولا مناص لهذا اللون من ألوان الحكم من استخدام وسائل السيطرة على عقول البشر استخداماً سيئاً وتهيئة هذه العقول لقبول الآراء التى يحلو للحاكم وحده أن يعتقد فيها الشعب المحكوم ، مما يؤدى حتماً إلى قتل الروح الفردية والاستقلال الذاتى وحرية الرأى . وقد شرعت الحكومات الديمقراطية ذاتها اليوم تحذو حذو الحكومات المستبدة فى استخدام وسائل الدعاية والإعلام وطرق التربية فى بث الآراء التى تريد . و « عود إلى العالم الطريف » حافز جديد للناس لكى يتمسكوا بمبادئ الحرية قبل أن يفوت الأوان بظهور الإنسان الجديد الذى تتصافر وسائل الدعاية والإيحاء والطرق العلمية على خلقه .

وقد أتيت لى فى صيف هذا العام أن أزور الولايات المتحدة الأمريكية ، وطففت بعدة ولايات ، ولما بلغت كاليفورنيا نمت إلى علم أولدس هكسلى أن كاتباً عربياً قام بترجمة كتابه « العالم الطريف » وترجمة « الوسائل والغايات » وغيرهما من بحوث ومقالات قد بلغ مدينة سان فرانسيسكو فدعانى إلى زيارته بمنزله ، وكان وقتئذ يقيم فى بركللى على مقربة من المدينة أستاذاً زائراً فى جامعة كاليفورنيا ، ولبيت الدعوة فرحاً مسروراً بهذه الفرصة التى أتيت لى لكى أتحدث إلى هذا الكاتب العظيم .

وقد دهشت لبسطة المنزل وتواضع الرجل ، وأخذنا نتبادل أطراف الحديث زهاء الساعتين ، وأذهلنى منه عمق ثقافته واتساعها وشمولها . فهو على دراية تامة بتقديم العلوم الطبيعية . وبالتاريخ السياسى ، وتاريخ الأديان ، وبكثير من اللغات الحية واللغات البائدة ، وآداب الشعوب ومشكلاتها السياسية ، والاقتصادية ، ونظريات التطور وعلم النفس الحديث ، والفنون القديمة والحديثة بكافة ضروبها ، وعلم الفلسفة والتربية . ماذا أقول ؟ إننى لا أكون مبالغاً إذا

قلت إن الرجل موسوعة علمية كاملة ، امتزجت فى شخصه مختلف المعارف والثقافات ، وكون من هذا المزيج فلسفته الخاصة التى أخرجها فى كتب أدبية رائعة تتسم بروعة الأسلوب والآداء .

وراعنى من الرجل خاصة وعيه بمشكلات هذه المنطقة من العالم التى نعيش فيها - منطقة الشرق الأوسط - وعطفه على الوحدة العربية وإيمانه بها ، وميله إلى التصوف وتقديره له ، وإثاره التصوف الإسلامى على التصوف البوذى الهندى ، لأن النوع الأول من التصوف منشئ بناء ، فى حين أن التصوف البوذى سلبى هدام ، لا يبحث على عمل ولا يدفع إلى خلق أو ابتكار ، وأخذ يروى لى أبياتاً من الشعر بالإنجليزية هى ترجمة لشعر جلال الدين الرومى الذى أبدى لى به إعجاباً شديداً .

وأردت أن أظفر منه فى نهاية الزيارة بحديث عن أحدث آرائه فى الاجتماع والسياسة والحضارة البشرية ، فقال : خير من حديث مطول ربما لا يلم بكل أطراف الموضوع أن أهدي إليك آخر مؤلفاتى لعلك واجد فيه بغيتك . ونهض إلى مكتبته وعاد منها بكتاب أمهره بعبارة إهداء لطيفة فتقبلته منه شاكراً ثم انصرفت .

وعنوان الكتاب « الجزيرة » . وهى قصة جديدة يتصور فيها هكسلى الحياة الجديدة فى جزيرة نائية بعيدة عن هذه الحضارة الفاسدة . وقد أراد بهذا الكتاب أن يعدل بغض الشيء عن تشاؤمه الذى ضمنه كتابه السابق « العالم الطريف » إلى نوع من أنواع التفاؤل لمستقبل الإنسان . أجل إن العلم يتقدم ، ويكشف جديداً كل يوم ، غير أن هذا العلم المتجدد المتطور لا يتحتم بالضرورة أن يستعبد الإنسان ويسلبه حريته وبساطته ، بل إن الإنسان ليستطيع أن يضع العلم فى خدمته وأن يجعل منه وسيلة من وسائل تحرره .

ويجدر بى أن أقف هنا لحظة لكى أذكر للقارئ شيئاً عن سيرة الرجل وتاريخ حياته .

الباكر وبسخرون من فرط طوله . غير أن هذا الطول الفارع يوحى إلى الناظر إليه في الوقت عينه أن الرجل شامخ بعظمته وأنه يعيش في عالم آخر غير عالمنا . وما أبعد هذا الأثر العاجل الذي تركه في الناظر إليه قامته . فالرجل — كما عرفته وكما يروى عنه كل من لاقاه — يتحدث إلى كل من يقابله في يسر زائد وتواضع جم . وهو رجل شديد المرح ، لا يتزمت ولا يتكلف ، يستعمل في أحاديثه كثيراً من غريب اللفظ لا لأنه يتحدثلق أو يتظاهر بالعلم ، ولكن لأن الرجل غريب فعلاً في تفكيره ، وهو بحاجة إلى هذه الألفاظ يعبر بها عما يختلج في نفسه من مشاعر وآراء تحيد عن المعروف المألوف . وأعتقد أن في شخصية الرجل ميلاً إلى الشذوذ ، فهو دائماً مولع بالشواذ من الناس وأنواع السلوك والتصرف .

وقد قاسى كثيراً وهو في طفولته من ضعف بصره ، الذي كاد أن يفقده فيعيش حياته ضريراً أعشى البصر . وقضى أياماً كثيرة وحده في غرفة مظلمة لا يستطيع القراءة ولا تقع عيناه على شيء ، فانقلب إلى دخيلة نفسه يفكر فيها ويتأمل . وكان لهذه الفترة أثرها الكبير في كل ما كتب فيما بعد . وزال الخطر واسترد الكاتب بصره ، ولكنه لا يزال ضعيف النظر . وتعلم في أكسفورد وفيها نشر بعض قصائده كما قدمت . وبعد ما أتم دراسته في الجامعة اشتغل بالصحافة ونشر عدة مقالات جمعها في كتابه « على الهامش » ، ثم جمع بعضاً من قصصه في كتاب سماه « السجن » . وهو فاتحة عهد جديد في حياته الأدبية .

وبعد « السجن » مارس كتابة الرواية الطويلة مستوحياً فيها الكاتب « توماس بيكوك » المعروف بسعة الاطلاع وروح التهكم . وقد أخذ عنه هكسلي منهجه في الرواية ، فلم يكن في يوم من الأيام روائياً بالمعنى الصحيح . إنما هو رجل واسع الاطلاع متهمك من الناس ، وله قدرة عظيمة على كتابة القصة القصيرة

ولد « أولدس ليونارد هكسلي » في إنجلترا عام ١٨٩٤ ، ولا يزال حتى اليوم على قيد الحياة لا ينى عن الكتابة والتأليف ولا يفتر . وقد بدأ حياته الأدبية شاعراً محتدياً في هذا حذو أكبر الكتاب المعاصرين . ونشر شعره أول مرة في مجلة « هويلز » ، ثم جمعه في ديوان عنوانه « العجلة المحترقة » نشره عام ١٩١٦ . وفي هذه السنة عيناها اشترك مع غيره من الأدباء في جمع ديوان « شعر أكسفورد » . وبقي الرجل شاعراً طوال حياته ، مخالفاً بذلك الكثيرين من أدباء عصره ، الذين انحرفوا عن الشعر إلى النثر . وهو الآن شاعر ناثر على العالم الذي يقوم على الأسس العلمية ، كما أنه ناثر على ازدياد نفوذ العلم في الحياة . وفي قصة « العالم الطريف » التي أشرت إليها يتخيل الكاتب أن الإنسان سوف لا يتناسل في المستقبل عن طريق الحب والتقاء الرجل بالمرأة لقاء طبيعياً ، ولكن عن طريق العلم ، وتكوين الأطفال بطريقة علمية داخل القوارير . وهكذا يصور لنا هكسلي العلم في صورة بشعة تشمئز منها النفوس وتقشعر الأبدان . ولعل هذا التطرف في الخيال هو الذي جذب إلى هكسلي الكثير من القراء .

وهو حفيد توماس هنرى هكسلي العالم الشهير الذي تلقى عليه العلم هـ . جـ . ولز . وبين الحفيد وجده شبه كبير في الصورة والقسيمات . وينحدر هكسلي من ناحية أمه من أسرة توماس أرنولد ناظر مدرسة رجبى الشهير . ومن بين أفراد أسرته من كان أستاذاً ، ومن كان عالماً أو شاعراً أو روائياً . فلو تصورنا هذه المجموعة من الرجال الممتازين المبرزين في مختلف نواحي العلم والمعرفة حول فراش مولده عام ١٨٩٤ أدركنا ما تدفق في دمائه من مواهب منذ نشأته الأولى . وقد استطاع فعلاً بذكائه الخارق وقلمه البارع أن يحقق ما توسمه أهله فيه وأن يرتفع إلى سماء الشهرة العالمية . وهو رجل طويل القامة ، نحيل القوام ، حتى لقد كان أطفال هامستد يتجمعون حوله في أيام شبابه

ولكنه حينما يحاول القصة الطويلة يتخذ من خياله الروائي وسيلة لبث آرائه ومعتقداته .

وهو كاتب متنوع المواهب متنوع الموضوعات . يقول عنه أخوه (جوليان هكسلي) العالم المشهور إنه الرجل الوحيد الذى يحمل معه دائرة المعارف البريطانية حينما يقوم برحلة طويلة أو يطوف حول العالم . ولكنه - برغم اطلاعه الواسع - لا يقتصر عند حد النظر ، بل يتعداه إلى العمل . يستمتع بالفكر كما يستمتع بالحس ، فهو كثير الإدمان فى القراءة ، ولكنه رجل اجتماعى حى ، وقل من الناس من يجمع مثله بين هاتين الخلتين .

وفى مجموعة قصصه التى جمعها تحت عنوان « السجن » وفى روايته « الكروم الأصفر » نتبين قدرته العظيمة على السخرية من المتكبرين والأدعياء . ورواياته مليئة بالصور الإنسانية التى تتميز بالهكم المرح - وقد خص بسخريته أبناء الطبقة الراقية فأثار على نفسه سخطهم . ولكنه لم يعبأ بهم ولم يكف عن الضحك منهم . وفى روايته « الكروم الأصفر » يعرض تلك المشكلة الكبرى التى حاول أن يحلها فى كل ما كتب . ووردت فى هذه الرواية العبارة الآتية : « يدخل المرء هذه الدنيا مزوداً بآراء مجهزة عن كل شيء ، وله فلسفة يحاول أن يخضع لها الحياة . فى حين أنه كان من الواجب أن يحيا أولاً ثم يحاول بعد ذلك أن يلائم بين فلسفته وبين الحياة كما عرفها . إن الحياة والحقائق والأشياء معقدة تعقيداً شديداً ، مع أن الآراء - مهما تعسرت - نأخذنا ببساطتها . كل شيء غامض مضطرب فى عالم الحياة ، وكل شيء واضح فى عالم الآراء . فهل من العجب بعد هذا أن يكون الرجل منا بائساً فى حياته تعساً ؟ » .

ويتضح لنا من هذا أن هكسلي لا يحب أن يتشبث بالمبادئ والأصول وقواعد العلم ، وإنما يقيم وزناً كبيراً للمعارف العملية وتجارب الحياة . كان هكسلي

من رجال الفكر ، وهو يفخر بذلك ، ولكنه - برغم هذا - كان قادراً ، بل متحمساً ، على أن يستفيد من الخبرة والتجربة .

وصل إلى لندن بعدما أتم دراسته الجامعية ورأسه مفعم بالنظريات . ثم أحس شيئاً من القلق ، ولم يطمئن إلى نظرياته كل الاطمئنان ، وأدرك أنها لا تعالج مشكلات الحياة الكبرى ، فتمم الرأى بالخبرة والعلم بالتجربة . أدرك أن حجرة المعلم لها جمال البساطة ، ولكن بالأرض والسماء كنوزاً غنية من المعارف لا تخضع لأى نظام فلسفى ، ولا يحلم بها رجال الفكر . أدرك هكسلي بعد قدومه إلى لندن أن آراءه لا تقنعه كل الإقناع ، واشتغل بالصحافة ، ورأى عن كتب سلوك الرجال والنساء ، وكيف تسير الأمور ، فتعلم ألوف الأشياء التى لم يتطرق إليها منهج الجامعة فجمع هكسلي بين الثقافة النظرية والخبرة العملية .

وهكسلي من أبناء الطبقة المتوسطة ، لا هو بالغنى الذى يتوفر له الفراغ ولا بالمعدم الذى يشغل وقته كله بكسب القوت . وقد تأثر بهذا الوضع الاجتماعى فى أدبه فسخر من أبناء الطبقة الرفيعة . كما عبر عن تفكره واشتمزازه من الفقر المدقع ، وإن كان يعطف على الفقراء . وانتهى هكسلي إلى شيء من اليأس لا يرى نفعاً فى أى شيء .

ثم مل النقد والسخرية وانصرف إلى التفكير فى مستقبل العلم والعلماء . فكتب من بين ما كتب رواية العالم الطريف التى سبقت الإشارة إليها .

عرض لكتاب العالم الطريف

فى هذا الكتاب يعبر هكسلي عن خوفه من سيطرة العلم على حياة الناس . ولعله من بين الكتاب الأحياء جميعاً الكاتب الوحيد الذى يستطيع أن يصور نتائج العلم بجرأة ووضوح . وهو فى هذا الكتاب عالم وشاعر

يرسم لنا صورة بشعة يتقزز منها القارئ كما تقزز منها الكاتب .

في هذا الكتاب يتخيل هكسلي أن العلم سوف يصل بنا إلى حد الاستغناء عن الزواج وتكوين الأجنة في القوارير بطريقة علمية بدلا من تكوينها في الأرحام . والأطفال - بحكم تركيبهم الكيائي - طبقات خمس : أ ، ب ، ج ، د ، هـ . وكل طبقة تعد إعداداً خاصاً يلائم تكوينها الجثائي واستعدادها العقلي ، وعليها أن تؤدي في الحياة عملاً معيناً لا تغيره ولا تحيد عنه . وبين أبناء الطبقة الواحدة تشابه كبير في الخلق والخلق ، حتى إن الفرد تكاد تنعدم شخصيته انعداماً باتاً . العالم الجديد ينكر الفردية والاختلاف الشخصي والتقليل من حال إلى حال . وشعاره الذي يطالعك به الكاتب في الفصل الأول من الكتاب هو « الجماعة » ، والتشابه ، والاستقرار . والعالم الجديد تهمة السعادة أكثر مما تهمة المعرفة . وهي سعادة آلية بحث لا توجهها الميول الشخصية وإنما تفرض على النفوس فرضاً .

إذا أردت شيئاً في العالم الجديد فأنت لا تفكر فيه ولا تسعى إليه ، وإنما يكفيك أن تضغط على زر أو تدوير مقبضاً - كما يقول هكسلي - ليكون لك ما تريد . وليس من شك في أن هذه الحياة - رغم يسرها الشديد - تدعو إلى الملل ، كما تؤدي إلى إهمال الفنون الرفيعة والشعور الديني ، والروح العلمية الصحيحة التي تهتم باكتشاف أسرار الطبيعة أكثر مما تهتم بإسعاد الإنسان وراحته .

كل هذه الآراء بسطها هكسلي في قصة « العالم الطريف » وهي ليست قصة بالمعنى المألوف ، فهي تنعدم فيها العقدة أو تكاد ، ولا تأبه بتحليل الشخصيات وإنما هي قصة أساسها علمي ، تهتم بشرح الآراء وتحليل الأفكار ، وبنفذ الحضارة الإنسانية من أساسها . وكثيراً ما يرسل الكاتب فيها نفسه على سجيته ، لا يتقيد بترتيب معين أو منطق خاص ، يدون الأفكار وفقاً لتواردتها

في ذهنه ، فيجمع بين المتناقضات ، ويؤلف بين القريب والبعيد ، والعلوى والسفلى في أسطر قلائل ، ويؤدي به هذا أحياناً إلى شيء من الغموض .

في العالم الجديد يستطيع الإنسان أن يتحكم في تربية الأطفال بالتكرار والإيحاء فنصوغهم كيفما نشاء ، ونرغبهم في هذا ونبغضهم في ذاك ، نربط ما نريد بشيء مستحب ، وما لا نريد بشيء كريه ترابطاً نفسانياً .

وفي هذا العالم الجديد الذي تفرخ فيه الأطفال في المعامل يلجأ النساء إلى استعمال موانع الحمل ويتحررن في سلوكهن الجنسي ما دامت روابط الأسرة والأطفال قد انحلت نهائياً .

ولما كان عالم الواقع كثيراً ما يسبب للمرء ضيقاً لا مفر له منه فإن العالم الجديد يخترع عقاراً اسمه « السوما » يتعاطاه المرء فيسبح في عالم الأحلام ويهرب من حقائق هذا العالم الذي نعيش فيه .

وكذلك يصبح الموت حدثاً عادياً في حياة الإنسان ينتقل إليه من الحياة على أنغام الموسيقى دونما ألم أو هلع . ويتصور هكسلي في قصته عالماً آخر إلى جوار هذه الدنيا الجديدة ، يصفه بالوحشية والهمجية ، لأن أهله يعيشون على المبادئ والعادات القديمة - وهي مبادئنا نحن وعاداتنا التي نؤمن بها ونمارسها اليوم ، كالزواج والحب وتربية الأطفال في البيوت .

وأخيراً يصور هكسلي النزاع بين القديم والجديد في صورة صراع ذهني شديد ينشب في نفس شاب من منطقة المتوحشين يزور هذا العالم الطريف فيتقزز منه وتشمئز نفسه ويهرب منه في عزلة يكفر فيها عما لحقه من دنس بتعذيب نفسه حتى الموت . وبهذا تنهزم المدنية التي نعيشها أمام العالم الجديد الذي يقوم على أسس علمية بحث .

ونقدى لهذا الكتاب - بل نقدى لأكثر ما كتب هكسلي - أنه سلبى ، أى أن الكاتب يسخر ويتقزز

دون أن يقدم لنا حلاً جديداً لمشكلة الحياة ، فهو هذا يهدم ولا يبنى . إذا ذهب إلى دار الصور « السينما » شاهد قصصاً ينفر منها الذوق السليم ، والجمهور المحتشد في دار الصور هو في عينيه جمع من الناس بليد الحس غير مرهف في شعوره ، ضعيف العقل ، مخدوع في نفسه أكبر خداع . وإن قرأ الكتب لم يجد فيها ما يستحق بذل الوقت والجهد . وإن رحل إلى بلد جديد لم يجد أهله خيراً من أهل البلد الذي رحل عنه . وإن بحث في السياسة وجدها فاسدة ، وفي الأخلاق الفها دنسة ، وفي الروحية لم يجدها سوى مجرد « انتقال أفكار » أو تلباثي ، وفي مملكة الحيوان رآها تأكل وتتناسل وتتكاثر بغير فهم أو إدراك . وهكذا الأمر فيما يتعلق بالمدينة الفاضلة العلمية ، فهي ليست إلا خيال فته من العلماء تمتلئ رؤوسهم بالتفكير المادى ، وتخلو قلوبهم من شعلة الروح .

ولكننا نلمس من خلال الحوادث التي تقع في القصة أن هكسلى ينادى بالعودة إلى بساطة العيش وإلى الأمومة الصحيحة ، وإلى الأطفال ترعاهم أمهاتهم ، وإلى الريف الذى لم يلوث بالعلم والمادة — ولكن كيف التسييل إلى ذلك وتقدم العلم المطرد يهددنا كل يوم ؟ كيف يمكن للإنسان أن يعيش في مجتمع أقل « كمالات » ولكنه « أكثر حرية » ؟

ظل هكسلى عدة سنوات يفكر في الإجابة عن هذا السؤال حتى استطاع أخيراً في هذا العام ١٩٦٢ أن يخرج قصة جديدة عنوانها « الجزيرة » وهى صورة لعالم آخر ومجتمع مختلف يعيش في جزيرة « بالا » إحدى جزر المحيط الهادى . وفي هذه الجزيرة لا يستخدم العلم — كما استخدم في « العالم الطريف » — في اطراد التقدم المادى الذى لا يفسح للروحية مجالاً . ذلك لأن الهدف في « بالا » يختلف عنه في « العالم الطريف » فهو في الجزيرة تحرير الأفراد ، وفي العالم الجديد السيطرة عليهم والتحكم فيهم .

ويتصور هكسلى في « الجزيرة » أن الحيل الآلية عينها — مع قليل من التحوير — التي جعلت من « العالم الطريف » جحيماً يمكن أن تجعل « الجزيرة » نعيماً . فأهل « بالا » — كأهل العالم الطريف — يمارسون تثبيت الآراء في الأذهان بطرق الإيحاء العلمية ، ويعتقدون في تحديد النسل ، وفي التحرر الجنسي من غير خجل ، وأطفالهم يخضعون لعمليات التكيف منذ الصغر ، ولا يتقيد الواحد منهم بأب بعينه أو أب بعينه طوال حياته إلا إن كان معهما سعيداً ، بل يستطيع أن يتنقل من أسرة إلى أسرة حتى يجد راحته وطمأنينته . كما أن رطائف توزع طبقاً للقدرات العقلية والبدنية . وهناك المخدر الذى يتناوله الناس ويؤثر في إدراكهم ويبيدهم في شبه إجازة من عالم الواقع . غير أن هذا المخدر — ويطلق عليه هكسلى اسم « موكشا » — لا يضعف الإدراك كما كانت تفعل « السوما » في العالم الطريف ، بل يشحذه ويضعف من القدرة على التنبيه عند من يتعاطاه .

وتثير جزيرة النعيم هذه حسد البلدان المجاورة وعداوتها . وبخاصة لكثرة ما فيها من حقول البترول . وتدبر المؤامرة للاستيلاء على بالا ، ثم تبدأ حوادث القصة في التتابع حتى يصل إلى أرض الجزيرة أحد أفراد المؤامرة ، وهو صحافى يعرف باسم « فارنانى » ، يقوم برحلة بحرية فتتحطم سفينته ويلقى به اليم على شاطئ الجزيرة .

ويتعرف فارنانى إلى فلسفة أهل بالا وطرق معيشتهم ، فيشك في كل ما لديه من قيم أتى بها من عالم الحضارة — عالماً — وبالقيم الجديدة التى يجدها فارنانى شائعة بين أهل الجزيرة يأمل في إنقاذ المدينة — مدينتنا — مما تعاني .

وأود أن أختتم هذه العجالة بإيراد بعض مقتطفات من هكسلى أقتبسها من كتابه « العالم الطريف » الذى نقلته إلى اللغة العربية .

يقول أحد سكان العالم الطريف معبراً عن وجهة النظر المتطرفة في نقد نظام البيت وحياة الأسرة :

— البيت وما أدراك ما البيت : هو بضع حجرات صغيرة ، يزدحم إلى حد الاختناق بساكنيه ، وهم رجل ، وامرأة تلد بين الحين والحين ، وثلة من البنين والبنات من مختلف الأعمار . الهواء فيه منعدم ، والفضاء منعدم . كأنه سجن قذر ، ينتشر فيه الظلام والمرض والروائح الكريهة

والبيت قذر من الوجهة النفسية كما هو قذر من الوجهة المادية . فهو من الوجهة النفسية أشبه ما يكون بجحر الأرانب أو كومة القاذورات ، الحياة فيه مكدسة أشد التكديس ، ولذا يكثر فيه الاحتكاك وتضطرم العواطف . وما أكثر ما ينشب بين أعضاء الأسرة من تقارب خائق وعلاقات خطيرة جنونية فاسدة . والأم تحنو على أطفالها (وأقول أطفالها هي) كالحبونة . إنها تحنو عليهم كما تحنو الهرة على الهريرات . ولكنها هرة تستطيع الكلام ، وتستطيع أن تقول وتكرر قولها : ولدى ، ولدى ، هيه يا ولدى

* * *

وفي الفصول الأخيرة من الكتاب ينتقل شاب من أبناء منطقة المتوحشين ، منطقة العالم القديم — عالماً — إلى العالم الجديد ويلتقى ببعض أفراد المسئولين عن الاحتفاظ بنظامه ، وتدور بينه وبينهم محاورات ، وأحاديث يستشف منها القارئ اختلاف وجهات النظر ، وفيما يلي جانب من هذه المحادثات :

يسأل الشاب المتوحش : لماذا لا تبيحون قراءة شكسبير ؟

— لأنه قديم ، ونحن هنا لا ننتفع بالأشياء القديمة .
— حتى إن كانت جميلة ؟
— وبخاصة إن كانت جميلة . فالجمال جذاب ، ونحن لا نحب أن ينجذب الناس إلى الأشياء القديمة . إنما نريدهم أن يحبوا الأشياء الجديدة .

— لكن الأشياء الجديدة مملّة سخيفة ، كتلك المسرحيات (يشير إلى المسرح في العالم الطريف) التي لا ترى فيها سوى الطائرات الحلقة والتي تحس فيها بقبلات الناس — وقطب جبينه عابساً ثم قال : أولئك قردة وما عز . ولم يجد غير هذه الألفاظ التي تفوه بها عطيل في مسرحية شيكسبير أسلوباً للتعبير عن اشمزازه وكرهيته .

وتتم محادثه مقاطعاً إياه قائلاً : أليست هذه على أية حال حيوانات أليفة لطيفة ؟

— لماذا لا يشاهد الناس هنا عطيلًا بدلاً من هذه المسرحيات ؟

— قلت لك إنها قديمة وهم — فوق ذلك — لا يفقهونها . . .

— وما دام الأمر كذلك فلماذا لا يشهدون شيئاً جديداً يشبه عطيلًا ، ويستطيعون إدراكه ؟

— . . . لو كان فعلاً شبيهاً بعطيل فلن يفقه أحد مهما يكن جديداً . ولو كان جديداً فلا يمكن أن يشبه عطيلًا .

— لماذا ؟

— لأن عالماً يختلف عن عالم عطيل . إنك لا تستطيع أن تصنع السيارات الشعبية بغير صلب ، وكذلك لن تستطيع أن تكتب المآسى بغير قلق اجتماعي . والعالم اليوم مستقر والناس سعداء ، يظفرون بما يريدون ، ولا يريدون قط ما لا يستطيعون الظفر به . إنهم أغنياء ، آمنون ، لا يمرضون قط ولا يخشون الموت . ينعمون بجهلهم العواطف والشيخوخة ، لا يرزءون بالأمهات والآباء ، ليست لهم زوجات ولا أطفال ولا عاشقون يحبونهم حباً جماً . وقد تكييفوا بحيث لا يسعهم فعلاً إلا أن يسلكوا كما ينبغي لهم أن يفعلوا . وإذا ساء أمر من الأمور فهناك « السوما » التي قذفت بها من النافذة باسم الحرية أيها الشاب المتوحش . ثم ضحك وقال : نعم الحرية ! لقد كنت تحسب أن

والاستقرار ، وإذا كان المجتمع بأسره من طراز « أ » فلا يمكن إلا أن يكون عديم الاستقرار شقياً . تصور مصنعاً كل عماله من « أ » - أى من أفراد مستقلين لا صلة بين أحدهم والآخر ، من سلالة طيبة ، وقد تكيفوا على القدرة (فى حدود معينة) على الاختيار وعلى الاضطلاع بالتبعات . تصور ذلك !

وحاول الشاب أن يتصور ، ولكنه لم يستطع .
- إنه عبث باطل . إن الرجل إذا أفرغ من القارورة على أنه من « أ » وإذا تكيف على طراز « أ » يجن إذا أرغم على أداء عمل « هـ » من أنصاف المعتهين . إما أن يجن أو يشرع في تحطيم الأدوات . إن « الألفات » يمكن أن ينسجموا مع المجتمع كل الانسجام - ولكن على شريطة أن يقوموا بعمل « أ » . ولا يقوم بتضحيات « هـ » إلا رجل من طراز « هـ » وذلك لسبب معقول وهو أنه لا يرى أنها تضحيات . إنما هو العمل الذى يتطلب منه أيسر مجهود . لقد مد له تكيفه قضباناً يسير عليها ، ولا يسعه إلا أن يتابعها ، فقد قضى بذلك عليه . إنه حتى بعد التفرغ من القارورة يبقى كأنه لا يزال بداخلها محتفظاً بصفاته الأصلية . . . إن كلامنا بالطبع يسر في حياته وكأنه بداخل قارورة . فإن كان من « أ » فالقارورة ضخمة نسبياً . يعانى صاحبها ألماً ممضاً إذا انحصر فى نطاق ضيق . . . وقد كانت تجربة قبرص دليلاً عملياً يؤيد هذه النظرية .

- أى تجربة هذه ؟

- تستطيع إن شئت أن تسميها تجربة فى وضع الأفراد فى غير قواريرهم . وكان بدوؤها فى عام ٤٧٣ بعد فورد (وهذا بالتاريخ الجديد يماثل قولنا بعد الميلاد) . فى ذلك التاريخ أبعد المراقبون عن قبرص كل سكانها الأحياء ، وأعادوا تعميرها بطائفة من اثنين وعشرين ألفاً من طراز « أ » أعدوا إعداداً خاصاً . وسلمت لهم المعدات الزراعية والصناعية ، وتركوا لإدارة شئونهم بأنفسهم ، فحققت النتيجة كل

الدالات (الأفراد من حرف د) تعرف ما هى !
والآن تريد أن يفهموا « عطيلاً » يا بنى العزيز !
- ولكن « عطيلاً » - برغم ذلك - مسرحية جميلة : إنها خير من تلك الصور التى تشاهدونها وتحسونها (هذه هى السينما الجديدة) .

- بالطبع هى كذلك . بيد أن ذلك هو الثمن الذى ندفعه فى سبيل الاستقرار . ليس أمامك إلا أن تختار أحد أمرين : إما السعادة ، وإما ما تعود الناس أن يسموه الفنون الرفيعة . ولقد ضحينا بالفنون الرفيعة ، واستبدلنا بها الصور المحسة (السينما الجديدة) وأرغن العطور (هذه آلة جديدة تفوح منها العطور المتنوعة فى تناغم وانسجام ترتاح له الأنوف التى تشمها) .
- ولكنهما لا يعنيان شيئاً .

- إنهما يعنيان نفسيهما . ويعنيان للمستمعين كثيراً من الإحساسات المستحبة . . . ونحن نصنع القطع الفنية الجديدة من لا شئ سوى مجرد الإحساس المباشر .
- ما أشنع ذلك !

- إن الأمر يبدو لك كذلك من غير شك ، لأن السعادة الواقعية - سعادتنا - لا تبعث فى النفس متعة شبيهة بتلك التى يستمددها المرء حينما يحاول أن يلتمسها عوضاً عن أسباب الشقاء . وليس الاستقرار بالطبع جذاباً كعدم الاستقرار . وليس فى القناعة ما يبهز العين مثل النضال الشديد فى وجه الكوارث ، وليس فيها ما يخطف البصر مثل الصمود فى وجه الإغراء ، أو الهزيمة المنكرة أمام الشك والعاطفة . إن السعادة لا تكون عظيمة إطلاقاً .

* * *

وفى مجال الحديث عن تقسيم المجتمع طبقات يقول الشاب المتوحش :

- لماذا لا تصنعون الناس جميعاً من طراز « أ » وهم فى دور التكوين ؟
- لأننا لا نريد الهلاك . نحن نعتقد فى السعادة

اليوم الواحد ، فإذا كانت النتيجة ؟ القلق وزيادة استهلاك السوما زيادة عظمى . ذلك كل ما حدث . وكانت الساعات الثلاث والنصف التي انضمت إلى أوقات الفراغ أبعد ما تكون عن جلب السعادة لهم ، حتى وجد الناس أنفسهم مضطرين إلى الاستئجاز منها . ومكتب المخترعات مفعم بالخطط التي يمكن أن تتبع لتوفير العمال . وهناك الألوف منها . وإنى لأعجب لماذا لا نضعها موضع التنفيذ ؟ من أجل العمال أنفسهم . فإن إصابتهم بزيادة الفراغ قسوة شديدة . وكذلك الأمر في الزراعة . إننا نستطيع أن نصنع كل لقمة من الطعام إن أردنا ، ولكننا لا نفعل ، فنحن نؤثر أن نبقي ثلث السكان في الأرض ، وذلك لمصلحتهم — لأن استخراج الطعام من الأرض يستغرق وقتاً أطول من استخراجها في المصنع . ثم عندنا فوق ذلك الاستقرار الذي لا بد لنا من مراعاته . إننا لا نحب التغيير ، فإن كل تغيير يهدد الاستقرار . وذلك سبب آخر يحفزنا على الحرص عند تطبيق المخترعات الحديثة . فإن كل كشف جديد في العلوم البحتة قد يكون هداماً . فالعلم نفسه لا بد أن يعالج أحياناً على أنه قد يكون عدواً للناس . نعم حتى العلم . . . نعم ذلك شرط آخر من شروط الاستقرار . ليس الفن وحده هو الذي لا يتفق والسعادة ، إنما العلم كذلك . إنه خطر ، ولا بد لنا من سلسلته وتكميمه بحرص شديد . . . فنحن لا نسمح للعلم أن يعالج غير المشكلات المباشرة في اللحظة الراهنة ، أما ما عدا ذلك من بحوث فنحن نقاومها بكل شدة . وإنى لأعجب حين أقرأ ما كان الناس في عهد فورد يكتبون عن التقدم العلمى . يظهر أنهم تصوروا أنه يمكن أن يسير إلى ما لا نهاية بغض النظر عن كل شيء آخر . كانت المعرفة هي الخير كل الخير ، وكانت للحقيقة أعلى القيم . وكل ما عدا ذلك ثانوى قليل الأهمية . نعم إن الآراء قد بدأت تتغير حتى في ذلك الحين . وبذل فورد بنفسه جهداً كبيراً في نقل الاهتمام

النبوءات النظرية بتأملها . فلم تغلح الأرض فلاحه صحيحة ، وعم الإضراب جميع المصانع ، ولم تراع القوانين وعصيت جميع الأوامر . وأخذ كل امرئ خص بعمل وضع يدبر الدسائس بغير انقطاع كي يصل إلى الوظائف العليا . ولم يفتأ أصحاب الوظائف العليا يديرون الدسائس المضادة مهما كلفهم ذلك كي يبقوا في مراكزهم . فاشتعلت بينهم في أقل من ست سنوات حرب أهلية من الدرجة الأولى . وبعد ما فنى تسعة عشر من اثنين وعشرين ألفاً ، تقدم الأحياء الباقون إلى المراقبين العالمين بطلب إجماعى يلتزمون منهم استئناف حكم الجزيرة ، فلبى المراقبون الطلب ، وكانت تلك نهاية جماعة (الألفات) الوحيدة التي شهدها العالم .

فتهد الشاب تنهداً عميقاً .

ثم قال المتحدث : إن السكان الملائمين يصاغون على نسق الجيل الجليدى — تسعة أعشاره تحت سطح الماء ، والعشر فوقه .

— وهل هم سعداء تحت سطح الماء ؟

— أسعد منهم فوقه . . .

— برغم ما يقومون به من عمل مريع ؟

— مريع لإنهم لا يجدونه كذلك . بل لإنهم — على

العكس من ذلك — يحبونه . إنه خفيف وسهل كعمل الأطفال ، لا يجهد العقل أو العضل ، سبع ساعات ونصف في عمل لا ينهك ، يعقبها مقرر السوما والألعاب والاتصال الجنسي الحر ودور الصور المحسة . ماذا يريدون أكثر من ذلك ؟ ثم قال : نعم لإنهم قد يطلبون ساعات أقل ، ونستطيع بالطبع أن نستجيب لهم في ذلك . ومن اليسير جداً — من الناحية الفنية — أن نقلل ساعات العمل لجميع أبناء الطبقات الدنيا إلى ثلاث أو أربع كل يوم . ولكن هل تزيد بذلك سعادتهم ؟ كلا . وقد أجريت التجربة منذ أكثر من قرن ونصف ، فإن كل سكان أيرلنده كانوا يعملون أربع ساعات في

من الحق والجمال إلى الراحة والسعادة . واقتضى الإنتاج الكبير هذا الانتقال . إن السعادة العامة تجعل العجلات دائمة الدوران . أما الحق والجمال فلا يستطيعان . وبالطبع كلما استولت الجماهير على السلطة السياسية كانت بالسعادة أكثر اهتماماً منها بالحق والجمال . ومع ذلك بقي البحث العلمى المطلق مباحاً بالرغم من كل شيء . وما برح الناس يتحدثون عن الحق والجمال كأنهما أعظم الخير . وبقي الأمر كذلك حتى حرب السنوات التسع . عندئذ استبدلوا بالنعمة القديمة نعمة جديدة . ما الفائدة من الحق والجمال أو المعرفة إذا كانت القنابل المحرقة ترتفع حولك من جميع الجهات ؟ وكان ذلك بدء السيطرة على العلم — بعد حرب السنوات التسع . حينئذ استعد الناس لقبول السيطرة حتى على شهواتهم . وبدلوا كل نفيس في سبيل الحياة الهادئة الوداعة . ومن ذلك التاريخ لم نفتر عن السيطرة على كل شيء . ولم يكن ذلك بالطبع من مصلحة الحق ، ولكنه كان في مصلحة السعادة . إنك لا تحصل على شيء بغير مقابل . فكان لا بد من دفع الثمن للسعادة . قال الشاب المتوحش : الفن والعلم — الظاهر أنكم دفعتم ثمناً غالياً جداً لسعادتكم . وهل هناك شيء آخر ؟

— نعم ، الدين بالطبع . فقد كان هناك شيء اسمه الله قبل حرب السنوات التسع . وقد نسيت أن أذكر لك ذلك ، وأظنك تعرف كل شيء عن الله .

عندى الكتاب المقدس وكثير من كتب الدين ، وعندى أيضاً كتب الأدب المكشوف . المجموعة الأولى في الخزائن بعيدة عن الأنظار ، والمجموعة الثانية فوق الرفوف .

— ولكن إن كنت تعرف الله فلماذا لا تعرف به قومك ، وتخرج لهم كتبه ؟

— لنفس السبب الذى لا نقدم لهم من أجله « عطيلًا » — هى كتب قديمة . وهى عن الإله الذى -

عرف منذ مئات السنين ، وليست عن إله اليوم .

— ولكن الله لا يتغير

— غير أن الرجال يتغيرون .

— وكيف تتغير الحقيقة بذلك ؟

— إنها تتغير كل التغير .

.....

— إذن فأنت لا تعتقد فى وجود الله !

— كلا . ربما كان هناك إله .

— إذن فلماذا ... ؟

— إنه يظهر على صور مختلفة لمختلف الأفراد .

كان يظهر فى الأزمنة السابقة للعصر الحديث ذلك الكائن الموصوف فى هذه الكتب المقدسة ، أما الآن ..

— كيف يظهر نفسه الآن ؟

— إنه يظهر كأنه غائب ، أو كأنه لا وجود البتة له .

— هذا خطأكم .

— بل قل إنه خطأ المدنية . إن الله لا يتفق والآلات

والطب العلمى والسعادة العالمية ولا بد من الاختيار ،

وقد اختارت حضارتنا الآلات والطب والسعادة . لذا

أرأى مضطراً إلى الاحتفاظ بهذه الكتب فى خزانة

موصدة . إنها تجافى الذوق ، ويصدم الناس لو ...

— ولكن أليس من الطبيعى أن يشعر المرء بوجود

الله ؟

— ... إن الناس يعتقدون فى الله لأنهم تكيفوا

على العقيدة فيه .

— إنى أرى أنه من الطبيعى — بالرغم من ذلك —

أن يعتقد المرء فى الله أثناء الوحدة — الوحدة المطلقة ،

فى ظلمة الليل ، وهو يفكر فى الموت ...

— ولكن الناس لا يكونون اليوم قط فى وحدة .

إننا نجعلهم يفتنون العزلة ، ونرتب حياتهم حتى يكاد

أن يستحيل عليهم أن يجدوها .

.....

— لكن الله هو السبب في كل ما هو نبيل وجميل وباسل . لو كان لديكم إله . . .

— صديقي الشاب العزيز ، إن الحضارة ليست قط بحاجة إلى النبيل أو البسالة ، إنما هذه الأشياء من أعراض العجز السياسي . أما في الجماعة المنظمة تنظيمًا صحيحاً — كجاعتنا — فإن الفرصة لا تتاح للمرء لكي يكون نبيلًا أو باسلاً . ولا بد أن تتزعزع أركان المجتمع قبل أن يوجد الظرف الذي يدعو إلى ذلك .

إن من الجلي أن النبيل والبسالة لهما مغزاهما في مجتمع يضطرم بالحروب ، وينقسم ولايات ، به أسباب للإغراء لا بد من مقاومتها ، وأشياء عزيزة يحارب المرء من أجلها ويدفع عنها . ولكن ليست هناك في الوقت الحاضر حروب . ونحن نحرض أشد الحرص ألا يغالى المرء في حب شخص بعينه ، ولا ينقسم عالمنا إلى ولايات . وكل امرئ ينشأ على العجز عن التخلص مما ينبغي له أن يفعل . وما ينبغي للمرء أن يعمل يدخل السرور إلى نفسه . وكثير من الدوافع الطبيعية تجد لها متنفساً ومخرجاً . فلم تبق هناك في الواقع أسباب للإغراء على المرء أن يقاومها . وإذا حدث — بالصدفة العمياء —

أمر لا يسر ، فهناك السوما دائماً تعطيك إجازة من الحقائق ، وهناك السوما دائماً تهدي من نائرة غضبك ، وتوفق بينك وبين أعدائك وتجعلك صبوراً شديد الاحتمال . كان الإنسان في الماضي لا يستطيع أن يحقق هذه الأشياء إلا بالجهد الشاق وبعد سنوات من التدريب الخلقى العسير . أما الآن فما عليك إلا أن تبلى قرصين أو ثلاثة زنة الواحد منها نصف جرام فينتهى كل شيء . يستطيع كل امرئ اليوم أن يكون فاضلاً ، ويستطيع أن يحمل على الأقل نصف أخلاقه الطيبة في زجاجة . المسيحية بغير دموع : تلك هي السوما .

— ولكن الدموع ضرورة لازمة . ألسنت تذكر قول « عطيل » : إذا كانت كل عاصفة يعقبها هذا الهدوء ، فمرحباً بالرياح تهب حتى توقظ الموتى ؟ وقد

اعتاد أحد شيوخ الهنود أن يقص علينا قصة عن فتاة متساكى : قال إن الشبان الذين أرادوا الزواج منها كان عليهم أن يضربوا في الحديقة بالفأس صباحاً كاملاً . وقد تحسب ذلك يسيراً ، ولكن أذكر أنه كان هناك ذباب وبعوض وسحرة . وأكثر الشبان لا يستطيع أن يحتمل العض واللدغ . ومن استطاع فله الفتاة .

— هذا شيء فائن . لكنك في البلدان المتحضرة تستطيع أن تحصل على البنات دون أن تضرب لهن بالفؤوس . وليس هناك ذباب أو بعوض يلدغك . فقد تخلصنا منها جميعاً منذ قرون .

— نعم لقد تخلصتم منها ، وهذا شأنكم في كل بيت . تتخلصون من كل ما لا يسر بدلا من أن تتعلموا احتماله . وسواء كان من الأشرف للمرء أن يحتمل آلام الحظ العاثر أو أن يتسلح ضد الكوارث ويقاومها حتى يقضى عليها ... فإنكم لا تفعلون هذا ولا ذاك . لا تعاونون ولا تعارضون . إنكم تكتفون بمحو أسباب الألم — وما أيسر ذلك ... إن ما تحتاجون إليه هو شيء يستدر الدموع تغيرون به هذه الحال التي أنتم عليها ، ولست أرى هنا شيئاً له قيمة تذكر .

.....

— بالعاقير الصناعية نحصل على القوة النفسية التي يمكن أن تنجم عن قتل « دزدومنا » أو الجريمة التي ارتكبتها عطيل ، دون أن نتعرض لما لا يسها من مضايقات .

— لكني أحب المضايقات .
— نحن لا نحبها ، ونؤثر أن نؤدى أعمالنا مع الراحة .

— لكني لا أحب الراحة . أريد الله ، وأريد الشعر ، وأريد أن أركب الأخطار ، وأريد الحرية وأريد الخير ، وأريد الخطيئة .

— إنك في الواقع تطالب بحقك في أن تكون غير سعيد .

- ليكن ذلك . إننى أطالب بحق فى أن أكون غير سعيد .

- ولست بحاجة إلى أن أذكرك بحقك فى الشيخوخة والقبح والعجز الجنسي ، وبحقك فى أن تصاب بالزهرى والسرطان وحقك فى قلة الطعام ، وحقك فى وباء القمل ، وحقك فى أن تعيش فى خوف دائم مما عساه يحدث فى الغد وحقك فى الإصابة بالتيفود ، وحقك فى أن تعاني العذاب من ضروب الآلام المختلفة التى لا توصف .

- إنى أطالب بذلك كله .

* * *

بهذا الأسلوب التهمى يسخر اولدس هكسلى من المدائن الفاضلة التى تقوم على أساس العلم ومن العوالم المثلى التى تنشأ على أساس من العقل المطلق الذى لا تخفف من جفائه عاطفة أو شعور . وينذر الإنسانية من مواصلة السير فى سبيل التقدم الذى يقضى على كل ما هو عزيز لدينا ونفيس .

ومن ثم فهو يفتح قصته الجديدة « الجزيرة » التى يصور فيها لوناً جديداً من الحياة يحد من غلواء « العالم الطريف » بهذه العبارة يقتبسها من أرسطو :

« إن المدينة الفاضلة التى نتمنى لأنفسنا العيش فيها ينبغى أن تكون محققة لآمالنا بشرط أن نتجنب فيها المستحيل الذى لا يطاق » .

